C

شرح بعض فقرات

دعاء كميل

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com

E-mail:info@imamhussain-lib.com

شرح بعض فقرات

دعاء كميل

بقلم

الشيخ وسام البلداوي

إصدار

وحدة النشر الثقافي

شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية

جدول محتويات

قصة دعاء كميل

قال السيد ابن طاووس في كتابه إقبال الأعمال:

(روي أن كميل بن زياد النخعي رأى أمير المؤمنين عليه السلام ساجداً يدعو بهذا الدعاء في ليلة النصف من شعبان.

ووجدت في رواية أخرى ما هذا لفظها: قال كميل بن زياد: كنت جالسا مع مولاي أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد البصرة ومعه جماعة من أصحابه فقال بعضهم: ما معنى قول اللّه عز وجل: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾؟

قال عليه السلام: «ليلة النصف من شعبان، والذي نفس علي بيده إنّه ما من عبد إلاّ وجميع ما يجري عليه من

خير وشر مقسوم له في ليلة النصف من شعبان إلى آخر السنة في مثل تلك الليلة المقبلة، وما من عبد يحييها ويدعو بدعاء الخضر عليه السلام إلا أجيب له».

فلما انصرف طرقته ليلاً، فقال عليه السلام: «ما جاء بك يا كميل؟».

قلت: **يا أمير المؤمنين دعاء الخضر.**

فقال: «اجلس يا كميل، إذا حفظت هذا الدعاء فادع به كل ليلة جمعة أو في الشهر مرة أو في السنة مرة أو في عمرك مرة تكف وتنصر وترزق ولن تعدم المغفرة، يا كميل أوجب لك طول الصحبة لنا أن نجود لك بما سألت».

ثم قال اكتب: «(...اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء، اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء، اللهم اغفر لي الذنوب التي تقطع الرجاء، اللهم اغفر لي كل ذنب أذنبته، وكل خطيئة أخطأتها)»[1].

---

١ إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس: ج٣، ص٣٣١ - ٣٣٢.

تمهيد

إنّ الإنسان بحسب فطرته التي فطره الله عليها يشعر شعوراً ذاتياً بوجود خالق، ومكوّن له، يفزع ويلجأ إليه إذا ألمّت به كارثة من كوارث الدهر، أو طافت به إحدى الأزمات، وهذه الظاهرة متأصّلة بالإنسان، ومرتبطة بوجوده منذ بداية تكوينه، وهيهات أن تنفصل عنه، فإنّ الذاتيات لا تتبدّل ولا تتغيّر حسبما يقول علماء المنطق.

وأدعية الأئمّة الطاهرين عليهم السلام بصورة عامّة من كنوز التوحيد، ومن أهمّ الوسائل المشرقة في الوصول إلى الله تعالى، وهي تكشف بصورة واضحة عن مدى تعلّقهم عليهم السلام بالله واتّصالهم به.

وقد فتح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بأدعيته المشرقة أبواب الاتّصال بالله تعالى، اتّصالاً يقوم على العبودية المطلقة للإنسان تجاه ربّه وخالقه، فإنّه لا قيمة للإنسان ولا حقيقة له ما لم يرتبط بالله الذي هو الغاية التي لا غاية غيرها في هذا الوجود.

ولم تقتصر أدعية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وسائر أدعية الأئمّة الطاهرين من أبنائه على مناجاة

اللّه تعالى وطلب عفوه ومغفرته وغير ذلك من القضايا الروحية، فقد تعرّض بعضها إلى الشؤون التربوية والاجتماعية، كما صوّر بعضها الحالة السياسية وما يعانيه المسلمون من الظلم والجور من حكّام عصورهم من أمويّين وعباسيّين.

إنّ أدعية الأئمّة الطاهرين عليه السلام حافلة بكلّ ما ينفع الناس، وبما تسمو به حياتهم الفردية والاجتماعية، وهي تمثّل الفكر الإسلامي تجاه القضايا الروحية، وبالإضافة إلى أنّها من مناجم الثقافة فقد بلغت الذروة في فصاحتها وبلاغتها، ونظمت في أرقى أسلاك الأدب العربي؛ ممّا جعلها من ذخائره، ومن أوضح ألوانه[١].

وسنحاول ان نسلط الضوء في هذا الكراس على بعض فقرات الدعاء الشهير للإمام علي عليه السلام والمعروف بدعاء كميل، ففي هذا المقطع يطلب الإمام علي عليه السلام من اللّه أن يعيذه والمسلمين من الذنوب التي تهتك العصم وتنزل النقم ومن

---

١ موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ج٤، ص٦-٧.

الذنوب التي تغير النعم وتحبس الدعاء وتنزل البلاء وتقطع الرجاء، فما هي الذنوب التي تؤدي إلى تلك المفاسد وتوجب نقمة اللّه على مقترفيها.

هل يستطيع الإنسان تغيير قدره وقدر العالم بأعماله؟

الكلام الوارد في هذا الدعاء الشريف يدل على معانٍ كثيرة وعظيمة، لا نستطيع الإحاطة بمضامينها غير أنّنا نتلمّس ما أمكننا من تلكم المعاني لأنّها تقودنا إلى الأمثل والأكمل في علاقتنا مع اللّه تعالى من جهة، وبين بقية المخلوقات الداخلة في إطار النظام الكوني الذي نعيش فيه من جهة ثانية.

وأول ما يمكن أن يتبيّن لنا من خلال فقرات هذا الدعاء هو أنّ الإنسان يستطيع أن يغيّر عالمه الشخصي بل وجميع العالم من خلال أفعاله وتصرفاته، فإن شاء فتح أبواب الرحمة، وولج إلى التقلب في النعيم، وإن شاء فتح أبواب الغضب وأصبح شقياً في دنياه وآخرته.

وهذا منهج قرآني صرحت به آيات القران الكريم كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ

بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[1]، ويستفاد من هذه الآية الشريفة أنّ بركات السماء والأرض مشروطة بإيمان الناس وتقواهم، وأنّ انقطاعها مشروط بالفسوق والعصيان.

وكقوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾[2]، والذي نستفيده، من الآيات القرآنية الأخرى، أن الإيمان والاستقامة لا يجلبان البركات المعنوية والروحية وحسب، وإنما يرفل الإنسان من خلالهما بالبركات المادية التي تسود عالمنا هذا[3].

وبعبارة أخرى: أن النصوص الدينية سواء الآيات أو الروايات الشريفة تربط بين ارتكاب المحرّم وبين الجزاء الذي ينزل بسببه أو النقمة التي تحلّ كنتيجة حتمية لذلك الارتكاب.

الاستغفار والترغيب فيه

نظراً لكون العبارات التي يراد بحثها وشرحها في هذا الكتيب تشتمل على طلب الاستغفار فلابد أن نعرف معناه وشروطه وآثاره والتي سنوجزها بما يلي:

---

١ سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

٢ سورة الجن، الآية: ١٦.

٣ تفسير الأمثل للشيخ مكارم الشيرازي: ج١٥، ص٤٠٥.

معنى الاستغفار لغة واصطلاحاً

وهو في اللغة بمعنى طلب الغفر، وهو الستر[١]، قال الراغب الأصفهاني: (الغفر: إلباس ما يصونه عن الدنس، ومنه قيل: اغفر ثوبك في الوعاء، واصبغ ثوبك، فإنه أغفر للوسخ)[٢] .

واصطلاحاً بمعنى: طلب المغفرة من اللّه تعالى بأن يصون العبد من أن يمسه العذاب[٣]، وأن يستر ذنبه عن الأغيار، كي لا يعلمه أحد، ولا يكون عليه شاهد[٤].

حكمة تشريع الاستغفار

بنيت الشريعة على أسس وقواعد قويمة، منها قواعد نفسية، مثل: الحب والبغض والخوف والرجاء. وللأخير دور مهم في إبقاء الحيوية المعنوية في الفرد المسلم، فالشريعة لم تقطع رجاءه على أثر ارتكابه

---

١ معجم مقاييس اللغة، والنهاية لابن الأثير، والقاموس المحيط: مادة غفر.

٢ معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني: ص٣٦٢، مادة غفر.

٣ المصدر السابق.

٤ مرآة العقول: ج١١، ص٣٠٦.

بعض الذنوب، بل فتحت مصراعيها للمذنبين ليعودوا، وجعلت لذلك طرقاً، منها: الشفاعة والتوبة والاستغفار.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾[1].

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[2].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال:

«العبد المؤمن إذا أذنب ذنباً أجله الله سبع ساعات، فإن استغفر الله لم يكتب عليه شيء، وإن مضت الساعات ولم يستغفر كتبت عليه سيئة، وإن المؤمن ليذكر ذنبه بعد عشرين سنة حتى يستغفر ربه فيغفر له، وإن الكافر لينساه من ساعته»[3].

---

١ سورة النساء، الآية: ٦٤.

٢ سورة آل عمران، الآية: ١٣٥ – ١٣٦.

٣ الكافي للشيخ الكليني: ج٢، ص٤٣٧.

الترغيب في الاستغفار

رغبت الشريعة المؤمنين في الاستغفار، والنصوص الواردة في ذلك مستفيضة جداً، كتاباً وسنة، قولاً وعملاً، حيث كان النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من ذريته يكثرون من الاستغفار، وقد روي: أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتوب إلى الله في كل يوم سبعين مرة من غير ذنب[١].

ويستفاد من مجموع الآيات والروايات الواردة في الاستغفار أن للاستغفار آثاراً مهمة، نشير فيما يلي إلى بعضها:

أولاً: أن هناك ارتباطاً بين الاستغفار وبين صلاح المجتمع ونزول البركات والحياة الطيبة، قال تعالى حكاية عن نبي الله نوح عليه السلام وهو يخاطب قومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[٢].

---

١ راجع بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٩٠، ص٢٨٢، كتاب الذكر والدعاء، الباب ١٥، الحديث ٢٥.

٢ سورة نوح، الآية: ١٠-١٢.

وقال تعالى حكاية عن نبي الله هود عليه السلام:

﴿ يَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ [1].

وعن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أنعم الله عز وجل عليه نعمة فليحمد الله، ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله، ومن حزنه أمر فليقل: لا حول ولا قوة إلا بالله» [2].

وعن الإمام علي عليه السلام قال: «الاستغفار يزيد في الرزق» [3].

ثانياً: ومن آثار الاستغفار رفع العذاب عن هذه الأمة، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [4].

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول مقامي فيكم والاستغفار لكم حصن حصين من العذاب، فمضى أكبر الحصنين

---

١ سورة هود، الآية: ٥٢.
٢ عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق: ج٢، ص٥٠، ح١٧١.
٣ بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٩٠، ص٢٧٧، ح٤.
٤ سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

وبقي الاستغفار، فأكثروا منه، فإنه ممحاة للذنوب، قال الله عزّ وجل: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾»[1].

سبب استغفار المعصومين عليهم السلام

قال الشيخ الإربلي في كتابه كشف الغمة: (إنّ **الأنبياء والأئمة عليهم السلام تكون أوقاتهم مشغولة بالله تعالى، وقلوبهم مملوءة به، وخواطرهم متعلقة بالملأ الأعلى، وهم أبداً في المراقبة، كما قال عليه السلام:** «اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[2]، **فهم أبداً متوجهون إليه ومقبلون بكلهم عليه، فمتى نزلوا عن تلك الرتبة العالية والمنزلة الرفيعة إلى الاشتغال بالمأكل والمشرب والتفرغ إلى النكاح وغيره من المباحات عدوه ذنباً واعتقدوه خطيئة، واستغفروا منه.**

ألا ترى أن بعض عبيد أبناء الدنيا لو قعد وأكل وشرب ونكح وهو يعلم أنه بمرأى من سيده ومسمع لكان

---

١ ثواب الأعمال وعقابها للشيخ الصدوق: ص١٦٤.

٢ الأمالي للشيخ الطوسي: ص٥٢٦.

ملوماً عند الناس ومقصراً فيما يجب عليه من خدمة سيده ومالكه.

فما ظنك بسيد السادات وملك الأملاك. وإلى هذا أشار عليه السلام أنه ليران على قلبي وأني لأستغفر بالنهار سبعين مرة ولفظه السبعين إنما هي لعد الاستغفار لا إلى الرين وقوله حسنات الأبرار سيئات المقربين)[1] .

وقد ذكر العلامة المجلسي أيضاً وجوهاً أخرى ربما يرجع بعضها أو أكثرها إلى ما قاله الإربلي فراجع[2].

---

١ كشف الغمة في معرفة الأئمة لعلي بن أبي الفتح الإربلي: ج٣، ص٤٧ – ٤٨.

٢ بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٢٥، ص٢٠٤، كتاب الإمامة باب عصمتهم عليهم السلام.

شرح عبارة: (اَللّهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تَهْتِكُ الْعِصَمَ)

معنى الذنوب

الذنوب: جمع ذنب، وهو الإثم، والخطأ، والجريمة.

قال الفراهيدي في كتابه العين: (والذنب: الإثم والمعصية، والجمع الذنوب)[١].

وقال الجوهري في الصحاح: (والذنب: الجرم)[٢].

أقسام الذنب

وللذنوب تقسيمات متعددة بحسب اللحاظ، فقد تقسم الى:

١: ما هو محرّم بنفسه، كشرب الخمر ولعب الميسر وأكل لحم الخنزير والعياذ بالله.

---

١ العين للخليل الفراهيدي: ج٨، ص١٩٠.

٢ الصحاح للجوهري: ج١، ص١٢٩.

٢: ما ينقلب ليصبح ذنباً، إذا ما اقترن بالنيّة والعزم، كالسفر لقتل بريء أو الأكل للتقويّ على المعاصي، أو التزيّن من المرأة لإظهار تلك الزينة، وقد تكون الذنوب ظاهرة في الجوارح كالاستماع إلى المحرّم من الغناء واللهو والغيبة، أو كالنظر إلى ما لا يحلّ النظر إليه، أو كالغيبة والنميمة باللسان، وقد تكون غير ظاهرة مدمرة في القلب والنية، كالحسد والبغض المذموم.

وقد تنقسم الذنوب الى:

١: الصغائر.

٢: الكبائر.

وقد اختلف العلماء في تحديد الكبائر، فقال قوم: الكبائر كل ذنب رتّب عليه الشرع الشريف حداً أن نصّ فيه بالعقاب، وذهب آخرون إلى أنّها كل ذنب توعّد اللّه عليه في الكتاب المجيد بالعذاب، في حين رأى بعضهم أنّها كل خطيئة بيّنت أنّ فاعلها قليل الاعتناء بأوامر الشرع متجرأ على خالقه.

وروي عن عبد اللّه بن مسعود أنّه قال: «اقرأوا من سورة النساء إلى قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ

عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ.. ﴾[١] فكل ما نهى عنه في هذه السورة إلى هذه الآية فهو كبيرة»[٢].

وقال الشهيد الثاني: (وقال جماعة من أصحابنا وغيرهم: الذنوب كلها كبائر وإنما صغر الذنب وكبره بالإضافة إلى ما فوقه وما تحته فأكبر الكبائر الشرك بالله وأصغره حديث النفس وبينهما وسائط يصدق عليها الأمران فالقبلة بالنسبة إلى الزنا صغيرة وإلى النظر كبيرة وكذا سرقة درهم صغير بالنسبة إلى الدينار وكبير بالنسبة إلى الدانق وهكذا)[٣].

وقال صاحب مجمع البحرين: (واعلم أن جميع الذنوب منحصرة في أربعة أوجه لا خامس لها: الحرص، والحسد، والشهوة، والغضب، هكذا روي عنهم عليهم السلام)[٤].

وقد عارض جملة من العلماء رأي صاحب مجمع البحرين وحصروا الذنوب في صفة الشهوة والغضب، منهم السيد البجنوردي حيث يقول في كتابه القواعد

---

١ سورة النساء، الآية: ٣١.

٢ ذخيرة المعاد للمحقق السبزواري: ج١، ص٣٠٤.

٣ حقائق الإيمان للشهيد الثاني: ص٢١٢.

٤ مجمع البحرين للشيخ فخر الدين الطريحي: ج٢، ص٦١.

الفقهية: (إنّ ارتكاب الذنوب والاقتراف فيها ينشأ من الصفتين الرذيلتين، وهما الشهوة والغضب، وبسببهما يخرج الإنسان عن الاستقامة والاعتدال، وربما يصير أنزل من السباع الضارية والأفاعي السامة، والشهوات من أوان الطفولة إلى أن يصير شيخاً كبيراً أنواع وأقسام، وكلها من المهلكات إن لم تصرف فيما خلقها الله لأجله.

وأما القوة الغضبية التي هي مبدأ أغلب الشرور والبلايا تتولد منها المعاصي الكبيرة، والمفاسد، والجرائم، وقتل النفوس، وهتك الأعراض، ونهب الأموال، وهدم الدور إلى غير ذلك من الجرائم الكبيرة التي ربما تكون بمثابة لا يقدر الإنسان على سماعها وتقشعر من ذكرها الأبدان)[1].

معنى العصم

والعصم جمع عصمة، والعصمة لغة: المنع[2]، اعتصمت عن الناس، امتنعت عن مواجهتهم، واعتصمت بحبل الله، أي: امتنعت بحبله من أن يطالني سوء.

---

١ القواعد الفقهية للسيد البجنوردي: ج٧، ص٣٢٦.

٢ الصحاح للجوهري: ج٥، ص١٩٨٦.

أمّا في الاصطلاح: قوة تمنع الإنسان عن الوقوع في الخطأ، وتردعه عن فعل المعصية واقتراف الخطيئة[١]، وتختلف من شخص لآخر، فعصمة الأنبياء عليهم السلام غير عصمة غير الأنبياء وعصمة كل نبي مختلفة عن الآخر ولذلك قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[٢].

وقد بين العلامة المجلسي معنى هتك العصم بقوله: (الهتك خرق الستر والعصم جمع العصمة، وهي ما يعتصم به، ولما كان الستر مما يعتصم به عن الفضيحة عبر عنه بالعصمة، أو استعمل الهتك هنا بمعنى الفصم والقطع)[٣].

واما والد العلامة المجلسي فقد قال: (قوله عليه السلام: «تهتك العصم» المراد به إما رفع حفظ اللّه وعصمته عن الذنوب أو رفع ستره الذي ستره به عن الملائكة والثقلين كما ورد في الأخبار الكثيرة)[٤].

---

١ تفسير الميزان للسيد الطباطبائي: ج٢، ص١٣٨.

٢ سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

٣ بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٨٨، ص٥٨.

٤ مرآة العقول في شرح أخبار الرسول: ج١٦، ص٢٢١.

ما هي عصمتنا نحن العاديين من البشر؟

العصمة بالنسبة إلينا: هي استشعار وحدانية اللّه عز وجل بالانصياع لأوامره والامتناع عن نواهيه بحيث يصبح ذلك ملكة راسخة في النفس تزجرها عن سلوك سبيل آخر، فإن سوّلت لنا أنفسنا معصية والعياذ باللّه، كان الندم مرافقاً واستشعار الخطأ ماثلاً، وهي كذلك تختلف من شخص لآخر.

بيد أنّ للعصمة معنى قد يكون أدق وأمتن، فإنّنا إن اعتصمنا بشيء فهذا يعني الإيواء إلى ركن وثيق، صحيح أنّ تقوى اللّه جُنّة ودرع حصين، غير أنّها تبقى دون هدف واضح إن كانت البنية الإيمانية غير قائمة على أسس متينة، والأساس المتين هنا هو الإيمان بولاية محمد وآل محمد صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين.

ولذلك: إنّ إتيان الذنوب التي تفصل العصمة بيننا وبين سفن النجاة، هي التي تجعل اللّه يعاملنا بعدله وليس برحمته، ولعل هذه العصمة والتمسك بها هي لتي عناها اللّه سبحانه بقوله: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ

سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [١] بكل الأحوال.

ما هي مصاديق الذنوب التي تهتك العصم؟

حديث الإمام السجاد عليه السلام أبو خالد الكابلي يقول: سمعت زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام يقول: «... والذنوب التي تهتك العصم: شرب الخمر، واللعب بالقمار، وتعاطي ما يضحك الناس من اللغو والمزاح، وذكر عيوب الناس، ومجالسة أهل الريب» [٢].

وقد علق السيد الخوئي رحمه الله على هذه الرواية بقوله: (إن رواية الكابلي عدت شرب الخمر واللعب بالقمار من جملة الذنوب التي تهتك العصم، أما الأول فلأنه يجر إلى التعرض لأعراض الناس بل نفوسهم، فإن شارب الخمر في حال سكره كالمجنون الذي لا يبالي في أفعاله وحركاته، وأما اللعب بالقمار فلأنه يورث العداوة بين الناس حيث تؤخذ به أموالهم بغير عوض واستحقاق) [٣].

وفي وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر

---

١ سورة الفرقان، الآية: ٧٠.

٢ معاني الأخبار للشيخ الصدوق: ص٢٧١.

٣ مصباح الفقاهة للسيد الخوئي: ج١، ص٦٥١.

رضي اللّه عنه:

«يا أبا ذر إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله عز وجل فيكتب بها رضوانه يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة في المجلس ليضحكهم بها فيهوى في جهنم ما بين السماء والأرض، يا أبا ذر، ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له، ويل له، ويل له»[١].

وقد أوضح بعض الأعلام أنّ التعاطي بما يضحك الناس ليس محرماً على عمومه بل هو على قسمين، فقال: (إن موضوع التحريم فيها هو اللغو الذي يكون موجباً لهتك عصم الناس وأعراضهم، من الاستهزاء والسخرية والتعيير والهجاء ونحوها من العناوين المحرمة، على أنه لا دليل على حرمة إضحاك الناس وإدخال السرور في قلوبهم بالأمور المباحة والجهات السائغة، بل هو من المستحبات الشرعية والأخلاق المرضية فضلاً عن كونه موجباً لهتك العصم وإثارة للعداوة والبغضاء)[٢].

وأما السيد السبزواري رحمه اللّه تعالى فيرى أنّ المؤمن الذي يملك أدنى مراتب الإيمان مشغول عن

---

١ وسائل الشيعة للحر العاملي: ج١٢، ص٢٥١.

٢ مصباح الفقاهة للسيد الخوئي: ج١، ص٦٥١.

اللغو: (واللغو عبارة عن الحركات الخارجية التي ليست لها غاية ولو التذاذ القوى الشهوانية. ولكل منها مراتب كثيرة أيضاً، والقول فيهما عين القول في اللهو، فهما بجميع مراتبها مرجوحة، والمتيقن من المحرم منها مرتبة خاصة كاللعب بآلات القمار مثلاً، ولا ريب في أن المؤمن ولو كان بأدنى مرتبة الإيمان لمشغول عن ذلك كله)[1].

واما المولى محمد صالح المازندراني في شرحه لأصول الكافي فقد أجاب عن سؤال مهم وهو متى تهتك العصم؟ وما مقدار الذنوب التي ترتكب وتسبب هذا الهتك؟ فيقول: (والذنوب إذا كثرت وتراكمت وتهتّكها وترفّعها بالمرّة حتّى لا يبالي المذنب بأي ذنب ورد ولا بأي وادٍ هلك، وقد يصدر الهتك من ذنب واحد كشرب الخمر)[2].

أما معنى هتك العصم فيجيبنا عليه العلامة المجلسي بقوله: (قوله عليه السلام: «التي تهتك العصم»،

---

١ مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام للسيد عبد الأعلى السبزواري: ج١٦، ص١٥٩.

٢ شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني: ج١٠، ص٤٨٩.

المراد به إما رفع حفظ اللّه وعصمته عن الذنوب بالتخلية بينه وبين الشيطان والنفس، وإما برفع ستره الذي ستره به عن الملائكة والثقلين كما في الأخبار أن اللّه تعالى يستر عبده بستر حتى إذا تمادى في المعاصي يقول اللّه تعالى ارفعوا الستر عنه فيفضحه ولو في جوف بيته، ويلعنه ملائكة السماء والأرض، والحمل على الأول أولى ليكون كشف الغطاء تأسيساً)[1].

---

١ بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٨٤، ص٢٥٣.

شرح عبارة: (اَللّهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تُنْزِلُ النِّقَمَ)

النقم: جمع نَقِمَة ككلمة وهي الأخذ بالعقوبة، قال صاحب كتاب معجم مقاييس اللغة: (نقم: النون والقاف والميم أصيل يدل على إنكار شيء وعيبه... والنقمة من العذاب والانتقام كأنه أنكر عليه فعاقبه)[١].

والذنوب كلّها يمكن أن تصير سبباً لنزول البليّة، سيّما إذا بلغت مرتبة الإفراط فيها، وذلك ظاهر في المنهمكين فيها المأخوذين بأنواع من البلاء، والظاهر من الروايات أنّ العقوبة على الذنوب لا تقتصر على المستوى الشخصي فحسب، فالمجتمع بأكمله يمكن أن يعاقب إذا فشت فيه الذنوب، كما في الرواية المروية

---

١ معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا: ج٥، ص٤٦٤.

عن النبي الأعظم صلى اللّه عليه واله أنّه قال: (خمس بخمس، فقيل يا رسول اللّه ما خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل اللّه إلا فشا فيهم الموت، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر، ولا طففوا المكيال إلا حبس عنهم النبات وأخذوا بالسنين)[1].

وتعبير الدعاء بـ(الذنوب) وهي صيغة جمع لا يدل على أنّ الإنسان لابد أن يرتكب مجموعة من الذنوب كي تنزل عليه النقم، بل ربما ارتكب الإنسان ذنباً واحداً عظيماً فتنزل عليه نقمة تهلكه، فقد يموت المرء فجأة لارتكابه الزنا والعياذ باللّه وقد يسلط عليه عدوّه لنقضه العهد، والوارد عن المعصومين عليهم السلام أنّ من يموت بالذنوب أكثر من الذين يموتون بالآجال، والعكس صحيح فإنّ من يعيش بعمل الصالحات أكثر ممن يعيش بالأعمار، فقد روي عن الصادق عليه السلام قوله: «من يموت بالذنوب أكثر من يموت بالآجال، ومن

---

١ الترغيب والترهيب من الحديث الشريف عبد العظيم المنذري: ج١، ص٥٤٤.

يعيش بالإحسان أكثر ممن يعيش بالأعمار»[١].

وروي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً قوله: «موت الإنسان بالذنوب أكثر من موته بالأجل، وحياته بالبر أكثر من حياته بالعمر»[٢].

بعض الذنوب التي تنزل النقم

ذكرت الآيات والروايات الشريفة وأقوال العلماء بعض مصاديق الذنوب التي تستوجب إنزال النقم نستعرض بعضها فيما يلي:

١: **عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال:** «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاث من الذنوب تعجل عقوبتها، ولا تؤخر إلى الآخرة: عقوق الوالدين، والبغي على الناس، وكفر الإحسان»[٣].

٢: **عن الإمام زين العابدين:** «...والذنوب التي تنزل النقم: عصيان العارف بالبغي والتطاول على الناس والاستهزاء بهم والسخرية منهم»[٤].

---

١ الأمالي للشيخ الطوسي: ص٣٠٥.
٢ بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٧٥، ص٨٣.
٣ وسائل الشيعة للحر العاملي: ج١٦، ص٣١٢.
٤ معاني الأخبار للشيخ الصدوق: ص٢٧٠.

٣: **قال تعالى:** ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[١]، **والآية صريحة في أنّ الظلم من الأسباب التي تعجل الانتقام وتنزل العقوبة، وفي هذا الصدد يقول المولى محمد صالح المازندراني: (والظلم على عباد الله يوجب نزول عقوبته ولزوم نقمته على الظالم ولو بعد حين وقد خرب الله تعالى ديار الظالمين وأفنى أولادهم وأموالهم كما هو معلوم من أحوال فرعون وهامان وأحوال بني اُمية وبني عباس وغيرهم من المشهورين بالظلم وهذه عقوبة دنيوية وأما الأخروية فمعدة لهم لا يعلم قدرها إلاّ هو)**[٢].

٤: **روى عبد الرحمن بن كثير عن الصادق عليه السلام أنه قال:** «إذا فشت أربعة ظهرت أربعة: إذا فشى الزنا ظهرت الزلازل، وإذا أمسكت الزكاة هلكت الماشية، وإذا جار الحكام في القضاء أمسك القطر من السماء، وإذا خفرت الذمة نصر المشركون على المسلمين»[٣].

٥: **وعن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّه قال:**

---

١ سورة النمل، الآية: ٥٢.

٢ شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني: ج١٠، ص١٩٣.

٣ من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق: ج١، ص٥٢٤.

«والذنوب التي تنزل البلاء: ترك إغاثة الملهوف، وترك معاونة المظلوم، وتضييع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[١].

٦: **عن أبي جعفر عليه السلام قال:** «أربعة أسرع شيء عقوبة رجل أحسنت إليه ويكافيك بالإحسان إليه إساءة، ورجل لا تبغي عليه وهو يبغي عليك، ورجل عاهدته على أمر، فمن أمرك الوفاء له ومن أمره الغدر بك، ورجل يصل قرابته ويقطعونه»[٢].

٧: **وسئل أمير المؤمنين عليه السلام أي ذنب أعجل عقوبة لصاحبه؟ فقال:** «من ظلم من لا ناصر له إلا الله وجاور النعمة بالتقصير واستطال بالبغي على الفقير»[٣].

٨: **وقد صرح الميرزا محمد تقي الموسوي الأصفهاني بأن واحدة من الذنوب التي تنزل النقم هي نسيان الموالين لذكر الإمام المهدي عليه السلام فقال في كتابه مكيال المكارم: (...وتضرع إلى الله تعالى في كل حين، ولاسيما مواقع الاستجابة، لئلا تبتلى بنسيان ذكره عليه السلام ولا تؤخر الدعاء إلى حين الابتلاء فإنه قد ورد في**

---

١ معاني الأخبار للشيخ الصدوق: ص٢٧١.
٢ الخصال للشيخ الصدوق: ص٢٣٠.
٣ الاختصاص للشيخ المفيد ص٢٣٤.

الروايات المأثورة عنهم في آداب الدعاء أن يبادر المؤمن بالدعاء قبل نزول البلاء، واسأل اللّه عز وجل أن يعصمك ويحفظك من الذنوب، التي تورث الابتلاء بنسيان ذكر إمامك فإن هذا من أشد النقم وأعظمها... ولا ريب أن نسيان ذكر الإمام والغفلة عنه عليه السلام نقمة شديدة، تترتب عليها نقمات الدنيا والآخرة)[1].

١ مكيال المكارم للميرزا محمد تقي الأصفهاني: ج٢، ص١.

شرح عبارة: اللّهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تُغَيِّرُ النِّعَمَ

والنعم: هي كل ما يلتذ به الإنسان من قوة وصحة ومأكول وملبوس وممتلكات ونساء وغير ذلك، والنعم غير قابلة للعد والإحصاء كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[١].

وتغيير النعم إزالتها وذهابها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾[٢]**، والنعم نوعان، نعم ظاهرة ونعم باطنة، وقد ذكرهما القران الكريم في قوله تعالى:** ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[٣]**، ولذلك جاء في لفظ الدعاء (النعم) ولم يقل النعمة، ليعم بلفظ الجمع النعم الظاهرة والباطنة.**

---

١ سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

٢ سورة الرعد، الآية: ١١.

٣ سورة لقمان، الآية: ٢٠.

بعض الأفعال التي تغير النعم

لقد أوضحت الآيات الكريمة والروايات الشريفة كثيراً من تلك الأفعال التي يرتكبها الإنسان وتؤدي إلى زوال النعم وتغييرها، وفيما يلي جملة منها:

ŋĞūůķł ǯđƸĀģ:Č

والإشارة إلى هذه الحقيقة في الآيات القرآنية الكريمة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾[1].

وقد أشارت الأحاديث الشريفة إلى هذا المعنى أيضاً نختار منها قول الإمام علي عليه السلام: «سَبَبُ زَوالِ النِّعَمِ الكُفرانُ»[2].

ĸĦØÆƮq ʂ Ʒǩ ĸĦķƶƛ ϙyŪƿ ŋƷūǅķł 5 Ɯ ƒ :č

والى هذا المعنى يشير حديث النبي صلى الله عليه

---

١ سورة النحل، الآية: ١١٢.

٢ موسوعة أحاديث أهل البيت للشيخ هادي النجفي: ج٩، ص٣٧٩، ح١١٨٦٤.

وآله: «إن ّلله أقواماً يَختَصُّهُم بالنِّعَم لِمَنافِعِ العِبادِ، ويُقِرُّها فيهِم ما بَذَلوها؛ فَإِذا مَنَعوا نَزَعَها عَنهُم فَحَوَّلَها إلى غَيرِهِم»[1].

وقول الإمام الصادق أيضاً: «مَن عَظُمَت عَلَيهِ النِّعمَةُ اشتَدَّت مَؤونَةُ النّاسِ عَلَيهِ، فَإِن هُوَ قامَ بِمَؤونَتِهِم اجتَلَبَ زِيادَةَ النِّعمَةِ عَلَيهِ مِنَ اللهِ، وإن لَم يَفعَل فَقَد عَرَّضَ النِّعمَةَ لِزَوالِها»[2].

ÆŭⅢkŧþ ǬǫŏǩŦ :Ď

ويؤيده ما رواه الشيخ الكليني عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «الذنوب التي تغير النعم البغي»[3].

وقد شرح المولى محمد صالح المازندراني معنى البغي في هذه الرواية بقوله: (قوله: «الذنوب التي تُغيّر النعم البغي» **أي البغي على الإمام العارف العادل أو على الناس أو السعي بالفساد بينهم أو فجور المرأة وكل ذلك يوجب فساد النظام وزوال الرفاهية وتغير النعم وذهاب الراحة...)**[4].

---

١ مشكاة الأنوار في غرر الأخبار لعلي الطبرسي: ص٥٤٦، ح١٨٣٠.

٢ الكافي للشيخ الكليني: ج٤، ص٣٨، ح٤.

٣ أصول الكافي للكليني: ج٢، ص٤٤٧، ح١.

٤ شرح أصول الكافي لمحمد صالح المازندراني: ج١٠، ص١٩٣، ح١.

[illegible]

روى الشيخ الصدوق رحمه الله عن أبي خالد الكابلي يقول: (**سمعت زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام يقول:** «الذنوب التي تغير النعم: البغي على الناس، والزوال عن العادة في الخير، واصطناع المعروف، وكفران النعم، وترك الشكر. قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [1] »)[2].

وقال عليه السلام أيضاً: «والذنوب التي تزيل النعم عصيان العارف والتطاول على الناس والاستهزاء بهم والسخرية منهم»[3].

[illegible]

من أعظم نعم الله التي أنعمها على عباده هي نبينا محمد وآله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، حيث قال إمامنا الصادق عليه السلام: «نحن والله نعمة الله التي أنعم الله بها على عباده، وبنا فاز من فاز»[4].

---

١ سورة الرعد، الآية: ١١.

٢ معاني الأخبار للشيخ الصدوق: ص٢٧٠.

٣ شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني: ج١٠، ص١٩٣.

٤ تفسير القمي لعلي بن إبراهيم القمي: ج١، ص٨٦.

وقال الإمام علي عليه السلام: «بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظَّلْمَاءِ وَتَسَنَّمْتُمْ ذُرْوَةَ الْعَلْيَاءِ»[١].

فإذا كانوا من أعظم نعم اللّه على الإنسانية فيجب عليهم الحفاظ عليها وعدم كفرانها وظلمها والبغي عليها، وما نراه اليوم من ظلم يعم العالم، وفساد في أرجاء المعمورة، وقتل ونهب واستباحة للحرمات إنما هو بسبب كفران وجحود هذه النعمة العظيمة، وعدم التمسك بها.

ǴDZKŢШ5 Żł Q̄ūDZ ƷKHǑF ƘKШŢq5ł

قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[٢]، **وفي حديث أبي الأحوص قال: (أتيت النبي صلى اللّه عليه وآله وأنا أشعث أغبر فقال:** «هل لك من المال؟»، **فقلت من كل المال قد آتاني اللّه عز وجل فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله:** «إنّ الله عز وجل إذا أنعم على عبد أحب أن يرى عليه آثار نعمته»)[٣].

---

١ نهج البلاغة تحقيق صبحي الصالح: ص٥١.

٢ سورة الضحى، الآية: ١١.

٣ جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردي: ج١٦، ص٦٧٩، ح١١٣.

وعن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير رفعه قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «إني لأكره للرجل أن يكون عليه نعمة من الله فلا يظهرها»[١].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إِذَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدِهِ بِنِعْمَةٍ فَظَهَرَتْ عَلَيْهِ سُمِّيَ حَبِيبَ اللهِ مُحَدِّثاً بِنِعْمَةِ اللهِ وَإِذَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدٍ بِنِعْمَةٍ فَلَمْ تَظْهَرْ عَلَيْهِ سُمِّيَ بَغِيضَ اللهِ مُكَذِّباً بِنِعْمَةِ اللهِ»[٢].

وروي أن سفيان الثوري وهو أحد علماء العامة دخل على جعفر بن محمد عليهما السلام فرأى عليه ثياباً رفيعة فقال يابن رسول الله أنت تحدثنا عن علي عليه السلام أنه كان يلبس الخشن من الثياب والكرابيس وأنت تلبس القوهى والمروى فقال: «ويحك يا سفيان أن علياً عليه السلام كان في زمن ضيق وأن الله قد وسع علينا ويستحب لمن وسع الله عليه أن يرى أثر ذلك عليه»[٣].

---

١ الكافي للشيخ الكليني: ج٦، ص٤٣٩، ح٩.

٢ أصول الكافي للشيخ الكليني: ج٦، ص٤٣٨، ح٢.

٣ دعائم الإسلام لنعمان بن محمد المغربي: ج٢، ص١٥٥، ح٥٥٠.

ğĸøūǩł ÁǪŪ ŋū5Ǹqǩł ƙĸɯŢq5ł

إنّ من أهم مصاديق إظهار النعمة هي التوسعة على العيال والأهل والأقارب والأرحام الأقرب فالأقرب، لذلك ورد في الأحاديث الشريفة ذكر استحباب التوسعة على العيال لأهميته ولدوره في الحفاظ على النعمة فعن أبي الحسن عليه السلام قال: «ينبغي للرجل أن يوسّع على عياله لئلا يتمنوا موته»، **وتلا هذه الآية:** ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [1] **ثم قال:** «فالأسير عيال الرجل ينبغي إذا أزيد في النعمة أن يزيد أسراءه في السعة عليهم» [2].

وعن النبي الأعظم صلّى اللّه عليه وآله قال: «إن المؤمن يأخذ بآداب الله إذا وسع الله عليه اتسع وإذا أمسك عنه أمسك» [3].

وعن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «صاحب النعمة يجب عليه التوسعة على عياله» [4].

---

١ سورة الإنسان، الآية: ٨.

٢ الكافي للشيخ الكليني: ج٤، ص١١، ح٣.

٣ وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٢١، ص٥٤١، ح٢٧٨٠٨-٤.

٤ الكافي للشيخ الكليني: ج٧، ص٢٣٣، ح٦٠٤٠/٥

شرح عبارة: اللّهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تَحْبِسُ الدُّعاءَ

ليس ثمة لذة أعظم من لذة المؤمن وسعادته حينما يرى آثار عمله وإيمانه المترتبة في استجابة دعائه، ذلك لأنه يحس بأنه موضع لطف بارئه تعالى وعنايته، وأنه في ارتباط مباشر مع خالقه، تلك سعادة ليس فوقها سعادة[1]، كما روي عنهم عليهم السلام: «وَأَنِلْنِي حُسْنَ النَّظَرِ فِيمَا شَكَوْتُ، وَأَذِقْنِي حَلاوَةَ الصُّنْعِ فِيمَا سَأَلْت»[2].

والدعاء باب من أبواب رحمة الله تعالى مفتوحة على الدوام أمام حاجات الناس ومطالبهم، غير أنّ أفعال العباد هي التي تمنع من وصول هذه الحاجات وهي التي تغلق هذا الباب من أبواب الرحمة الإلهية التي وسعت كل شيء، فالعلة كما يقال في القابل للفيض

---

١ الدعاء حقيقته آدابه آثاره مركز الرسالة: ص٥٦.

٢ الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام: ص٥٤، من دعاءه عند الصباح والمساء.

وليس في فاعله، فإن ضوء الشمس قويّ وجليّ، لكن المرآة التي تستقبله إذا كانت غير صافية الصفحة فإنّها لا تعكس ضوء الشمس إلا بمقدار شفافيتها.

DKÜyKt 5 WTo ÆqKt kNzKt LjüÄ

وفيما يلي أهم الموانع التي تحبس الدعاء:

١: اقتراف الذنوب والمعاصي

قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «إن العبد يسأل الله الحاجة فيكون من شأنه قضاؤها إلى أجل قريب، أو إلى وقت بطيء، فيذنب العبد ذنباً فيقول الله تبارك تعالى للملك: لا تقض حاجته واحرمه إياها، فإنه تعرض لسخطي، واستوجب الحرمان مني»[1].

٢: أكل الحرام

قد ورد في الحديث القدسي: «فمنك الدعاء وعليّ الإجابة، فلا تحجب عني دعوة إلا دعوة آكل الحرام»[2].

وروي أنه قال رجل لرسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: (يا رسول اللّه أحب أن يستجاب دعائي، فقال

---

١ الكافي للشيخ الكليني: ج٢، ص٢٧١، ح١٤.

٢ بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٩٠، ص٣٧٣، ح١٣.

صلى الله عليه وآله وسلم: «طهر مأكلك، ولا تدخل بطنك الحرام»)[1].

وعن الإمام أبي عبد الله عليه السلام: «من سره أن تستجاب له دعوته، فليطب مكسبه»[2].

٣: عقوق الوالدين وقطيعة الرحم

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «والذنوب التي ترد الدعاء وتظلم الهواء عقوق الوالدين»[3].

وعن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «لا تمل من الدعاء، فإنه من الله عز وجل بمكان، وعليك بالصبر وطلب الحلال وصلة الرحم»[4].

٤: الذنوب الواردة في رواية الإمام السجاد عليه السلام

روى الشيخ الصدوق رحمه الله تعالى في معاني الأخبار عن أبي خالد الكابلي أنّه قال: (سمعت زين **العابدين علي ابن الحسين عليهما السلام يقول:** «... والذنوب التي ترد الدعاء: سوء النية، وخبث السريرة، والنفاق

---

١ وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٧، ص١٤٥، ح٨٩٦٥-٥.

٢ الكافي للكليني: ج٢، ص٤٨٦، ح٩.

٣ جامع أحاديث الشيعة للبروجردي: ج٢٦، ص٩٣٢.

٤ وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٧، ص٨٤، ح٨٧٩٢-١.

مع الإخوان، وترك التصديق بالإجابة، وتأخير الصلوات المفروضات حتى تذهب أوقاتها، وترك التقرب إلى الله عز وجل بالبر والصدقة، واستعمال البذاء والفحش في القول»)[1].

---

١ معاني الأخبار لابن بابويه القمي: ص٢٧١.

شرح عبارة: اللّهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الّذنُوبَ الّتي تُنْزِلُ البَلاَءَ

البلاء والبلية والبلوة، الغم الذي يُبلي جسد الإنسان، إمّا لأمر نفساني ينعكس على الجسد، أو لنقص بدني من مرض ونحوه. والبلاء قسمان قسم حسن وهو الذي تحدثت عنه الآية القرآنية: ﴿...وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاَءً حَسَنًا إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، والآخر سيئ وهي البلايا التي تنزل على الإنسان من جراء ارتكابه الذنوب والتجاوزات الشرعية، كما أنّ البلاء قد يكون مادياً كنحو المرض والخسارة في الأموال والأعراض، وقد يكون معنوياً كالنفاق والهم والغم وغير ذلك.

وهذه الفقرة من الدعاء تتحدث عن النوع الثاني من أنواع البلاء وهو البلاء السيئ الذي ينزل عن الإنسان

---

١ سورة الأنفال، الآية: ١٧.

جراء أعماله السيئة وذنوبه الموبقة، وهو الذي تحدثت عنه الآية المباركة: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[1].

وعن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أما إنه ليس من عرق يضرب، ولا نكبة، ولا صداع، ولا مرض إلا بذنب وذلك قول الله عز وجل في كتابه: ﴿وَما أَصابَكُم مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾»، قال: ثمّ قال: «وما يعفو الله أكثر مما يؤاخذ به»)[2].

وعن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ما من نكبة تصيب العبد إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر»[3].

فدلت هذه الآيات والأحاديث على أنّ جميع المصائب من الأمراض والعلل وغيرها متسبب عن سيئات العبد ومعاصيه الناشئة من جهله فهو بمقدار جهله وقلة عقله سبب لمعاصيه الموجبة لابتلائه بالبلايا.

---

١ سورة الشورى، الآية: ٣٠.

٢ أصول الكافي للشيخ الكليني: ج٢، ص٢٦٩، ح٣.

٣ الكافي للكليني: ج٢، ص٢٦٩، ح٤.

DÊⅧǩƗ ğʒⅅơ ÆqǩƗ ƙǸⅅzǩƗ Ljǖƛ

قد ذكر الإمام زين العابدين عليه السلام بعض الذنوب التي توجب نزول البلاء وهي كالتالي:

١: ترك إغاثة الملهوف.

٢: ترك معاونة المظلوم.

٣: تضييع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١].

٤: الظلم[٢].

Ɒƥ ǴǩƥʒⅅKⅧā DÊⅧǩƗ ǔəƐơ ÆqǩƗ ƙⅧƽàƗ Ljǖƛ ⅆƴǖƛ

١: الدعاء قبل نزول البلاء

وردت أحاديث كثيرة عن المعصومين عليهم السلام تنص على أنّ العبد إذا أكثر الدعاء في زمن الرخاء لكي يستجاب له زمن الشدة والبلاء، منها ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «من سره أن يستجاب له في الشدة، فليكثر الدعاء في الرخاء»[٣].

وقال عليه السّلام: «تعرّف إلى الله في الرّخاء حتّى

---

١ معاني الأخبار للشيخ الصدوق: ص٢٧١.

٢ معاني الأخبار للشيخ الصدوق: ص٢٧٠.

٣ الكافي للشيخ الكليني: ج٢، ص٤٧٢، ح٤.

يعرفك في الشّدّة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»[1].

وقال الصّادق عليه السّلام: «من تقدّم في الدّعاء استجيب له إذا نزل به البلاء، وقالت الملائكة: صوت معروف ولم يحجب عن السّماء ومن لم يتقدّم في الدّعاء لم يستجب له إذا نزل به البلاء، وقالت الملائكة: إنّ ذا الصّوت لا نعرفه»[2].

٢: الدعاء بعد نزول البلاء

فعن أبي الحسن موسى عليه السّلام قال: «ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيلهمه الله تعالى الدعاء إلا كان كشف ذلك البلاء وشيكاً، وما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء إلا كان البلاء طويلاً، فإذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى»[3].

وقال أبو الحسن موسى عليه السّلام: «عَلَيْكُمْ بِالدُّعَاءِ فَإِنَّ الدُّعَاءَ لله وَالطَّلَبَ إِلَى الله يَرُدُّ الْبَلاَءَ وَقَدْ قُدِّرَ وَقُضِيَ وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ إِمْضَاؤُهُ، فَإِذَا دُعِيَ الله عَزَّ وَجَلَّ وَسُئِلَ

---

١ من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق: ج٤، ص٤١٣، ح٥٩٠٠.
٢ أصول الكافي للشيخ الكليني: ج٢، ص٤٧٢، ح١.
٣ الكافي للشيخ الكليني: ج٢، ص٤٧١، ح٢.

صَرَفَ الْبَلاَءَ صَرْفَةً»[١].

وعن أبي عبد اللّه الصادق عليه السّلام: «إن الله تعالى ليدفع بالدعاء الأمر الذي علمه أن يدعى له فيستجيب ولولا ما وفق العبد من ذلك الدعاء لأصابه منه ما يجتثه من جديد الأرض»[٢].

٣: الدعاء للإخوان بظهر الغيب

ويدل عليه روايات كثيرة منها:

فعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: «دعاء المرء لأخيه بظهر الغيب يدر الرزق، ويدفع المكروه»[٣].

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام أيضاً أنه قال: «الدعاء لأخيك بظهر الغيب يسوق إلى الداعي الرزق ويصرف عنه البلاء ويقول له الملك ولك كمثل ذلك»[٤].

ملاحظة مهمة: هذه الأحاديث تدل على حصول هاتين الفائدتين بالدعاء لكل مؤمن غائب أفتعرف أيها المؤمن مؤمناً أكمل إيماناً من مولانا صاحب العصر

---

١ أصول الكافي للكليني: ج٢، ص٤٧٠، ح٨.
٢ أصول الكافي للكليني: ج٢، ص٤٧٠، ح٩.
٣ الكافي للكليني: ج٢، ص٥٠٧، ح٢.
٤ بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٩٠، ص٣٨٥، ح١١.

والزمان الذي معرفته علة تامة لحصول الإيمان فبادر بالدعاء له في كل آن يدفع عنك ببركة الدعاء له من البلايا ما لا يعلمه الا الله سبحانه.

٤: الصدقة وأثرها في دفع البلاء

عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أكثر من صدقة السر، فإنها تطفئ غضب الرب جل جلاله»[١].

وعن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: باكروا بالصدقة، فمن باكر بها لم يتخطاها البلاء»[٢].

وعن الباقر عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: أفضل ما توسل به المتوسلون الإيمان بالله، وصدقة السر، فإنها تذهب الخطيئة، وتطفئ غضب الرب، وصنائع المعروف، فإنها تدفع ميتة السوء، وتقي مصارع الهوان»[٣].

---

١ الخصال للصدوق: ج١، ص١٨٠، ح٢٤٦.
٢ عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق: ج٢، ص٦٢، ص٢٥١.
٣ من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق: ج١، ص٢٠٥، ح٦١٣.

٥: اصطناع المعروف والخير إلى الناس

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله: «المَعروفُ بابٌ مِن أبوابِ الجَنَّةِ، وهُوَ يَدفَعُ مَصارِعَ السّوءِ»[١].

وعنه صلى اللّه عليه واله أيضاً قال: «المَعروفُ إلَى النّاسِ يَقي صاحِبَها مَصارِعَ السّوءِ وَالآفاتِ وَالهَلَكاتِ»[٢].

وعنه صلى اللّه عليه وآله قال: «المَعروفُ يَقي سَبعينَ نَوعاً مِنَ البَلاءِ، ويَقي ميتَةَ السّوءِ»[٣].

٦: تقوى اللّه

إذا كانت المعاصي من المؤثرات في جدب الأنهار وقلة الأمطار، فإن التقوى والتوجه إلى اللّه تعالى، والاستغفار والتوبة والإنابة إليه مؤثرة في دفع البلاء وفي نزول البركات، قال تعالى في سورة النساء: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾[٤].

---

١ دعائم الإسلام لنعمان بن محمد المغربي: ج٢، ص٣٢١، ح١٢١١.

٢ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ج١، ص١٢٤.

٣ قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا: ص١١.

٤ سورة الطلاق، الآيات: ٢-٥.

٧: التوسل بالنبي وبأهل البيت عليهم السلام

ويدل عليه الزيارة المروية عن الإمام الصادق عليه السلام للإمام الحسين عليه السلام التي جاء فيها: «وبكم يباعد الله الزمان الكلب وبكم فتح الله وبكم يختم الله وبكم يمحو ما يشاء وبكم يثبت وبكم يفك رقابنا من النار... وبكم يكشف الله الكرب وبكم ينزل الله الغيث وبكم تسبح الأرض التي تحمل أبدانكم الشريفة...»[1].

وروي أيضاً عن الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام: «أنا خاتم الأوصياء وبي يدفع البلاء عن أهلي وشيعتي»[2].

وعن الإمام علي عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: النجوم أمان لأهل السماء إذا ذهبت النجوم ذهبوا، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»[3].

---

١ الولاية التكوينية والتشريعية لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم للسيد علي عاشور: ص١٩٣.

٢ الغيبة للشيخ الطوسي: ص٢٤٦، ح٢١٤.

٣ أمالي الطوسي: ص٣٨٠، ح٨١٣-٦٤، باختلاف.

شرح عبارة: (اللهم اغفر لي الذنوب التي تقطع الرجاء)

الرجاء: هو التمني والأمل، والرجاء مما لا بد منه لكل مكلف فهو الذي يبعث النفس على الطاعة، ويهون عليها احتمال المشقة فيها، كما يحتمل التاجر مشاق السفر رجاء للربح.

ومعنى قوله عليه السلام (تقطع الرجاء) أي يحصل بسببها اليأس من روح الله وهو باب من أبواب الكفر، كما قال تعالى: ﴿لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[1].

أو إن معنى (تقطع الرجاء) هو أن تلك الذنوب بلغت من العظمة مقداراً سدت على العبد باب الرجاء والأمل برحمة الله سبحانه ومغفرته.

---

١ سورة يوسف، الآية: ٨٧.

ϘǸǭƶǮǩƗ DŽƩƸǩƗƿ ţƿƴǮǮǩƗ DŽƩƸǩƗ

والرجاء قسمان:

١: **الرجاء الممدوح: وهو الأمل بمغفرة الله بعد الكدّ بالعمل الصالح، كما قال تعالى:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1].

٢: **الرجاء المذموم: وهو رجاء المغفرة دون الإتيان بما يوجب ذلك استهانة واستخفافاً، وشاهده قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:** «لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ وَيَرْجُو التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ يَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ الزَّاهِدِينَ وَيَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ الرَّاغِبِينَ»[2].

DŽƩƸǩƗ ǔǎǡƿ Ƶ ƜǗǩƗ ƞǭƸ Ƒ

قلنا إنّ اليأس حالة من حالات الكفر، وقد نهت عنه الشريعة المقدسة، بل وحاولت الآيات القرآنية وأحاديث المعصومين وأدعيتهم أن تبث الأمل في نفوس الناس حتى مع إسرافهم بالظلم والذنوب، وأمرتهم بالرجوع

---

١ سورة البقرة، الآية: ٢١٨.

٢ تحف العقول لابن شعبة الحراني: ص١٥٧.

إلى الله سبحانه مهما طال طريق الذنوب، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[1].

وقد علّمنا الإمام زين العابدين عليه السلام في أدعيته المباركة أن لا نقطع رجاءنا بأيّ حال من الأحوال حيث قال في دعاء أبي حمزة الثمالي: «إلهي لو قرنتني بالأصفاد ومنعتني سيبك من بين الأشهاد ودللت على فضائحي عيون العباد وأمرت بي إلى النار وحلت بيني وبين الأبرار ما قطعت رجائي ولا صرفت وجه تأميلي للعفو عنّي ولا خرج حبك عن قلبي أنا لا أنسى أياديك عندي وسترك عليّ في دار الدنيا»[2].

DƙΣƐǩłþ ÙǸƱǩł ǰØʎ ŋØă 5Ǹǩł

ويجب على المؤمن أن يكون حاله بين الرجاء والخوف على التساوي، فقد ورد في الحديث الشريف عن الصادق عليه السلام في حديثه مع ابن جندب (قال له: «... يابن جندب يهلك المتكل على عمله، ولا ينجو

---

١ سورة الزمر، الآية: ٥٣.

٢ إقبال الأعمال لابن طاووس: ج١، ص١٥٧.

المتجرئ على الذنوب، الواثق برحمة الله»، قلت: فمن ينجو؟ قال: «الذين هم بين الرجاء والخوف، كأنّ قلبه في مخلب طائر شوقاً إلى الثواب، وخوفاً من العذاب»)[1].

وفي حديث آخر عن الحرث بن المغيرة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (**قلت له ما كان في وصية لقمان؟ قال عليه السلام:** «كان فيها الأعاجيب، وكان أعجب ما كان فيها أن قال: لابنه: خف الله خيفة لو جئته ببر الثقلين لعذبك، وارج الله رجاء لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك»، **ثم قال أبو عبد الله عليه السلام:** «كان أبي يقول: ليس من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نوران: نور خيفة، ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا»)[2].

ĠəǸƢ ÅQŨ ďDĶΣʒ ƐRĞǽ ǯʛ ĠơǸǭ ƙƐā ǰǮǩ ƚƬɋʂǽ

يستحب للعليل أو كبير السن الذي شارف على الموت أن يحسن ظنه بالله سبحانه ولا يقنط من رحمته، وأن لا يغلب رجاؤه على خوفه، لأنّ من اشتد خوفه من شيء خاف لقاءه، وبهذا الأمر وردت الأحاديث الشريفة

١ الوافي للفيض الكاشاني: ج٢٦، ص٢٧٣.

٢ الكافي للشيخ الكليني: ج٢، ص٦٧، ح١.

عن المعصومين عليهم السلام، منها ما روي عن النبي الأعظم صلى اللّه عليه واله وسلم أنّه قال: «لا يموتن أحدكم حتى يحسن ظنه بالله عز وجل فإنّ حسن الظن بالله ثمن الجنة»[1].

وعن الحسن بن علي العسكري عن آبائه عليهم السلام قال: (سأل أبو عبد اللّه - الصادق - عن بعض أهل مجلسه فقيل عليل فقصده عائداً وجلس عند رأسه فوجده دنفاً فقال له: «أحسن ظنك بالله»، **فقال أما ظني باللّه فحسن...)**[2].

وعلى وفق هذه الروايات أفتى علماء الطائفة قال شيخنا الشهيد في الذكرى: (ويستحب حسن الظن باللّه في كل وقت وآكده عند الموت، ويستحب لمن حضره أمره بحسن الظن وطمعه في رحمة اللّه تعالى)[3].

DƘΣƐǩɫ ŭă Ǣơ Ǽƣǩɫ ƙǸǅƶǩɫ Ljǖƛ

لقد صرح الإمام السجاد عليه السلام بأنّ أربعة من

---

١ وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٢، ص٤٤٨، ح٢٦١٥-٢.

٢ عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق: ج٢، ص٣، ح٧.

٣ بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٧٨، ص٢٣٥، ح١١.

الذنوب تتسبب في قطع الرجاء هي:

١: اليأس من روح اللّه.

٢: القنوط من رحمة اللّه.

٣: والثقة بغير اللّه.

٤: التكذيب بوعده سبحانه[1].

---

١ معاني الأخبار للشيخ الصدوق: ص٢٧٠.

شرح عبارة: (اللهُمَّ اغْفِرْ لِي كُلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُه وكُلَّ خَطِيئَةٍ أَخْطَأْتُهَا)

لما انتهى الإمام عليه السلام من تعديد أصناف الذنوب فيما سبق، جمعها الآن في قوله: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي كُلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُه» **وكذلك جمع بهذه العبارة جميع الأصناف التي مرت والأصناف التي لم يذكرها في هذا الدعاء، فقد ذكرت الأدعية المباركة للمعصومين أصنافاً أخرى لم تذكر في هذا المقطع من دعاء كميل منها:**

«...واغفر لي الذنوب التي تورث الندم، واغفر لي الذنوب التي تحبس القسم، واغفر لي الذنوب التي تعجل الفناء، واغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء، واغفر لي الذنوب التي تديل الأعداء، واغفر لي الذنوب التي تحبس غيث السماء، واغفر لي الذنوب التي تكشف الغطاء، واغفر لي الذنوب التي تظلم الهواء، واغفر لي الذنوب التي تحبط العمل، واغفر لي الذنوب التي لا يعلمها

مني غيرك»[١].

وقد تقدم الكلام عن الذنوب ومعناها وأقسامها فلا نعيد، فيبقى الكلام عن الخطيئة ومعناها وما يتعلق بها فنقول:

ƚ ǄƶkƗ ǰ ǭ ǬǕȣ ŋlǾ ă Ʊkƚ

علمنا سابقاً أنّ الذنوب تعني الإثم، والخطأ، والجريمة.

أما الخطيئة فأعم من الذنب، لأن ترك الأولى يعد خطيئة، وكذلك الفعل الذي يخالف المرؤة يسمى خطيئة أيضاً[٢].

والخطايا لا تقل ضرراً ولا خطورة من الذنوب، فإنها إن غلبت على القلب أعمته وجعلت عاليه سافله، فقد ورد في الرواية عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «كان أبي يقول: ما من شيء أفسد للقلب من خطيئة، إن القلب ليواقع الخطيئة فما يزال به حتى تغلب عليه فيصير

---

١ راجع مصباح المتهجد للشيخ الطوسي: ص١٣٦.

٢ أنظر شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني: ج١٢، ص١٣٦.

أعلاه أسفله»[١].

ومعنى (فيصير أعلاه أسفله) أي يصير منكوساً كالإناء المقلوب المكبوب لا يستقر فيه شيء من الحق ولا يؤثر فيه شيء من المواعظ، كما روي: (القلوب ثلاثة: قلب منكوس لا يعي شيئاً من الخير وهو قلب الكافر) والحاصل أن الخطيئة تلتبس بالقلب وتؤثر فيه حتى تصيره مقلوباً لا يستقر فيه شيء من الخير بمنزلة الكافر، فإن الإصرار على المعاصي طريق إلى الكفر كما قال سّبحانه: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾[٢] [٣].

أو يكون معنى (فيصير أعلاه أسفله) أي أنّ الخطايا (تكدره وتسوده... أو تصيره مائلاً إلى الباطل بكله... أو جعلته كالكوز المنكوس لا يدخل فيه شيء من الحق، وخرج ما دخل فيه فيصير خالياً من الحق والمعارف، مظلماً قابلاً لجميع المفاسد نعوذ باللّه من ذلك)[٤].

---

١ أصول الكافي للشيخ الكليني: ج٢، ص٢٦٩، ح١.

٢ سورة الروم، الآية: ١٠.

٣ بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٧٠، ص٣١٣.

٤ شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني: ج٩، ص٢٤١ – ٢٤٢.

ǨæǨ ăŪǩł Ǻǩƒ ŋæƳƐǮǩł ƙǁƽàł Ljūǯ

لقد ذكرت والروايات الشريفة طائفة من الأسباب المؤدية إلى ازدياد الخطايا نختار منها على سبيل المثال ما يلي:

١: حب الدنيا

فقد ورد في نصيحة الله سبحانه لنبيه عيسى عليه السلام قوله: «يا عيسى ذلل قلبك بالخشية وانظر إلى من هو أسفل منك ولا تنظر إلى من هو فوقك واعلم أن رأس كل خطيئة وذنب هو حب الدنيا فلا تحبها فإني لا أحبها»[1].

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «فاحذروا زهرة الحياة الدنيا وغرورها وشرورها وتذكروا ضرر عاقبة الميل إليها، فإن زينتها فتنة وحبها خطيئة»[2].

ومن وصايا عيسى عليه السلام: (بحق أقول لكم: إن الذي يخوض النهر لابد أن يصيب ثوبه الماء وإن جهد أن لا يصيبه كذلك من يحب الدنيا لا ينجو من الخطايا)[3].

---

١ أمالي الشيخ الصدوق: ص٥٢١.

٢ تحف العقول لابن شعبة الحراني: ص٢٧٣.

٣ الوافي للفيض الكاشاني: ج٢٦، ص٢٩٧.

وسبب كونها رأس كل خطيئة لأنّ الذنوب كلها مثل التكبر والحسد والزنا والقتل وترك الصلاة وغير ذلك تابع ومتسبب عن حب الدنيا والميل إليها ونسيان الآخرة والابتعاد عنها، ويكفي في ذمها أن اللّه سبحانه لا يحبها فينبغي على العاقل أن يكرهها، لأنّ العاقل المحب للّه تعالى لا يحب ما لا يحبه اللّه سبحانه.

٢: اللسان الكاذب

عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم قال: «...وأعظم الخطايا عند الله لسان كذاب»[١].

وسبب كون اللسان الكذاب من أعظم الخطايا هو: لأنّ الكذب أساس ومنبع لخطايا غير محصورة، وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام قال: «... إن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وما يزال أحدكم يكذب حتى يقال: كذب وفجر وما يزال أحدكم يكذب حتى لا يبقى في قلبه موضع إبرة صدق، فيسمى عند الله كذاباً»[٢].

---

١ مجموعة ورام لابن أبي فراس: ج٢، ص٩٢.

٢ الأمالي للشيخ الصدوق: ص٥٠٥.

٣: غصب مال المسلم

فعن الإمام الباقر عليه السّلام قال: «أعظم الخطايا غصب مال مسلم»[١]، ولعل عظمة خطيئة الغصب نابعة من كونها من الخطايا التي لا تترك ولا تغفر يوم الحساب، لتعلقها بحق الناس، وحق الناس لا يتجاوز عنه اللّه سبحانه إلا بعد أن يتجاوز عنه صاحبه، وقد وردت الإشارة إلى هذه الحقيقة في أحاديث كثيرة منها الرواية المروية عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «ألا وإنّ الظلم ثلاثة فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم مغفور لا يطلب فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك بالله، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾[٢] وأما الظلم الذي يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات وأما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضاً القصاص هناك شديد ليس هو جرحاً بالمدى ولا ضرباً بالسياط ولكنه ما يستصغر ذلك معه»[٣].

---

١ مصباح الهدى في شرح عروة الوثقى للشيخ محمد تقي الآملي: ج١١، ص٣٤٨.

٢ سورة النساء، الآية: ٤٨.

٣ غرر الحكم ودرر الكلم للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: الفصل السادس، ص١٨٠، برقم٣٩.

Ќǽ ă UϘǩ ŋǿ ƭ ЌƷǩł ƙШ5 ăł Ljūƛ

وردت الإشارة في روايات المعصومين عليهم السلام عن أنّ للخطايا أسباباً تمحوها وتزيلها، وبها يتجاوز اللّه سبحانه عن مرتكبيها، وهي كثيرة نختار منها ما يلي:

١: اقتلاع أسباب الخطايا

ذكرنا آنفاً أن للخطايا أسباباً، وعليه فمن أراد إصلاح خطاياه ومحوها فعليه أن يزيل تلك الأسباب من نفسه ومن عمله، فيجب عليه الزهد في الدنيا، وتعويد نفسه عن الصدق، وأن يؤدي للناس حقوقهم المادية والمعنوية، فما لم يفعل هذا لم يذق حلاوة المغفرة للخطايا.

٢: الخلق الحسن

فقد روي عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السّلام أنّه قال: «أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه الخلق الحسن يميث الخطيئة كما تميث الشمس الجليد»[1]، ويميث بمعنى يذيب، فمثلما أنّ الشمس تذيب الجليد كذلك يفعل حسن الخلق.

---

١ أصول الكافي للشيخ الكليني: ج٢، ص١٠١، ح٧.

٣: المداومة على الصلاة

عن النَّبيَّ صلى اللّه عليه وآله قال: «إنَّ كُلَّ صَلاة تَحُطُّ ما بَينَ يَدَيها مِن خَطيئَة»[١].

وعن الإمام عليّ عليه السلام قال: «الصَّلاةُ صابونُ الخَطايا»[٢].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: لَو كانَ عَلى بابِ دارِ أحَدِكُم نَهرٌ فَاغتَسَلَ في كُلِّ يَوم مِنهُ خَمسَ مَرّات أكانَ يَبقى في جَسَدِهِ مِنَ الدَّرَنِ شَيءٌ؟ قُلنا: لا، قالَ: فَإِنَّ مَثَلَ الصَّلاةِ كَمَثَلِ النَّهرِ الجاري كُلَّما صُلِّيَ صَلاةٌ كَفَرَت ما بَينَهُما مِنَ الذُّنوبِ»[٣].

٤: الندم والخوف من الذنب والصدقة

عن النبي صلى اللّه عليه وآله قال: «لو أخطأتم حتّى تبلغ خطاياكم السّماء ثمّ تبتم لتاب الله عليكم»[٤].

---

١ كنز العمال للمتقي الهندي: ج٧، ص٢٨٧، ح١٨٩١٠.

٢ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج٢٠، ص٣١٣، برقم ٥٩٨.

٣ تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي: ج٢، ص٢٣٧، ح٩٣٨-٧.

٤ نهج الفصاحة (قصار كلمات رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم)، لأبي القاسم باينده: ص٦٤٣، ح٢٣١٣.

وعن الصادق عليه السلام قال: «أنّ الرجل ليذنب فيدخله الله به الجنة»، قيل: يدخله الله بالذنب الجنة؟ قال: «**نعم** أنّه ليذنب فلا يزال منه خائفاً ماقتاً لنفسه فيرحمه الله فيدخله الجنة»[1].

وعن النبي الأعظم صلى اللّه عليه واله قال: «صدقة السر تطفئ غضب الرب، وإنّ الصدقة لتطفئ الخطايا كما يطفئ الماء النار»[2].

٥: العلل والأمراض

فعن الصّادق عليه السّلام قال: «حمّى ليلة كفّارة لما قبلها ولما بعدها»[3].

وقال عليه السّلام: «صداع ليلة تحطّ كلّ خطيئة إلاّ الكبائر»[4].

وقال الإمام عليّ بن الحسين عليهما السّلام: «حمّى ليلة كفّارة سنة، وذلك لأنّ ألَمَها يبقى في الجسد سنة»[5].

---

١ الكافي للشيخ الكليني : ج٢، ص٤٢٦، ح٣.
٢ دعائم الإسلام لنعمان بن محمد المغربي: ج٢، ص٣٣١، ح١٢٤٩.
٣ الكافي للكليني : ج٣، ص١١٥، ح١٠.
٤ ثواب الأعمال وعقابها للشيخ الصدوق: ص١٩٣.
٥ جامع الأخبار للشعيري: ص١٦٣.

وعن الإمام عليّ عليه السّلام قال: «في المرض يصيب الصّبيّ إنّه كفّارة لوالديه»[١].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله عز وجل: وعزتي وجلالي لا أُخرج عبداً من الدنيا وأنا أريد أن أرحمه حتى أستوفي منه كل خطيئة عملها، إما بسقم في جسده وإما بضيق في رزقه وإما بخوف في دنياه فإن بقيت عليه بقية شددت عليه عند الموت، وعزتي وجلالي لا أُخرج عبداً من الدنيا وأنا أريد أن أعذبه حتى أوفيه كل حسنة عملها إما بسعة في رزقه وإما بصحة في جسمه وإما بأمن في دنياه فإن بقيت عليه بقية هونت عليه بها الموت»[٢].

٦: زيارة الإمام الحسين عليه السلام

من أهم أسباب مغفرة الخطايا والصفح عن الآثام هي زيارة أئمة أهل البيت عليهم السلام عامة وزيارة الإمام الحسين عليه السلام على وجه الخصوص، وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة نختار منها حديث الإمام الرضا عليه السلام مع ابن شبيب وقوله له: «...يا بن

---

١ من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق: ج٣، ص٤٨٢، ح٤٦٩٤.

٢ الكافي للشيخ الكليني: ج٢، ص٤٤٤، ح٣.

شبيب لقد حدثني أبي عن أبيه عن جده عليهم السلام أنّه لما قتل جدي الحسين صلوات الله عليه أمطرت السماء دماً وتراباً أحمر يابن شبيب إن بكيت على الحسين حتى تصير دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنب أذنبته صغيراً كان أو كبيراً قليلاً كان أو كثيراً»[1].

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام الصادق حينما سأله الحلبي عن ترك زيارة الحسين عليه السلام بقوله: (..جعلت فداك ما تقول فيمن ترك زيارة الحسين عليه السلام وهو يقدر على ذلك قال عليه السلام: «إنه قد عق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعقنا واستخف بأمر هو له، ومن زاره كان الله من وراء حوائجه وكُفي ما أهمه من أمر دنياه، وأنه يجلب الرزق على العبد ويخلف عليه ما ينفق ويغفر له ذنوب خمسين سنة ويرجع إلى أهله وما عليه وزر، ولا خطيئة إلا وقد محيت من صحيفته فإن هلك في سفرته نزلت الملائكة تغسله وفتح له باب إلى الجنة يدخل عليه روحها حتى ينشر وإن سلم فتح له الباب الذي ينزل منه رزقه يجعل له بكل درهم أنفقه عشرة آلاف درهم، إن الله نظر لك فذخرها لك عنده»)[2].

---

١ الأمالي للشيخ الصدوق: ص١٣٠.

٢ تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي، تحقيق السيد الخرسان: ج٦، ص٤٥، ح٩٦-١١.

الخاتمة

الى هنا انتهى بحمد اللّه ومنِّه ما أردنا شرحه من فقرات لدعاء كميل بن زياد رحمه اللّه، والتوسع في باقي فقرات هذا الدعاء يحتاج الى بحث موسع، لعل اللّه سبحانه يوفق إليه بعض الباحثين، وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين، وصلى اللّه على خيرته من خلقه محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين.